الصور المجازية الإدراكية. فالصور المجازية الآلية لا يمكن أن تعبِّر عن الرؤية التوحيدية، لأنها تفترض أن الكون مثل الآلة التي تدور بلا هدف ولا غاية. والصور المجازية العضوية (العالم كنبات أو حيوان) تصبح هي الأخرى مستحيلة، لأنها ترى العالم باعتباره كُلاّ متماسكًا مُصمَتًا لا تتخلله مسافات أو ثغرات، فهو مكتف بذاته ومرجعية ذاته.

وتذهب الرؤية الحلولية للإله إلى أنه يحلُّ في مخلوقاته، ويلتصق بها، ويتوحد معها، إلى أن يصبح مثلها خاضعًا لقوانين الطبيعة/ المادة (أي أن «الإله قد مات» حسب تعبير نيتشه). هذا يعني أن العدل لا يمكن أن يوجد في الأرض، بل ستسود رؤية داروينية تذهب إلى أن أي مفاهيم أخلاقية إن هي إلا مؤامرة الضعفاء على الأقوياء، وأنه لا يوجد قانون في الأرض وإنما يوجد صراع. فالإنسان ذئب لأخيه الإنسان، والقيمة الأسمى هي البقاء، وآلية حسم الصراع هي القوة. واللغة بالتالي تصبح تعبيرًا عن موازين القوى لا أداةً للتواصل، ودلالة الكلمات يفرضها القوي في عالم لا معنى له ولا غاية، تسيطر عليه في الوقت نفسه القوانين الطبيعية الحتمية. كما أن الصور المجازية والعضوية الإدراكية مناسبة تمامًا للتعبير عن رؤية للكون تراه باعتباره خاضعًا تمامًا لقوانين الطبيعة المضطردة، لا تتخلله مسافات أو ثغرات.

ثمة ترابط إذًا بين اللغوي والديني والنفسي، بل ثمة ترابط بين كل مجالات النشاط الإنساني، وقد حان الوقت أن ندرك هذا الترابط وأن ندرس الظواهر التي من حولنا في ترابطها وتشابكها وتركيبيتها، وألا نسقط في التفسيرات الأحادية («الواقع إن هو إلا كذا» - «العنصر الاقتصادي هو العامل الأساسي» - «غرائز الإنسان، وبخاصة الرغبة الجنسية، هي محركه الأساسي» . . . إلخ)، وألا نتصور أنه يمكن دراسة النشاط الاقتصادي بمعزل عن النشاط الديني أو الجمالي أو الأخلاقي أو النفسي.

والاتجاه نحو تفتيت الظواهر الإنسانية لدراستها، أمر منتشر في بعض الأوساط